



كل المواقع امتلأت بالنجالين

تأمل الشيخ فريد هنيدى طفله «معاذ» وهو يلهو مع أخيه حسن الذى يكبره بثلاثة أعوام وقلبه يلهج بشكر الله على نعمته المهداه. ثم تأمل زوجته نادية عز الدين التى حولت حياته إلى عالم من الهدوء والرضا وأضفت عليه شعورًا مفعماً بروح السكينة، ثم عاد فتأمل خفوت غضبه القديم فى خطبه الأسبوعية على المنبر وتساءل:

- «هل هدأت ثورتى على المنبر، وخف غضبى على النظام بفعل هدوء الدعة والراحة فى منزلى، أم بفعل هدوء الصدمات الكهربائية فى هذا العهد الجديد قياساً بعهد السادات؟..»

فالرئيس الجديد لم يسلك درب سلفه المغتال فى مضايقة الحكام العرب، وبدأ أنه يحرص على إرضائهم أسوة بكل الأطراف الأخرى فى الداخل والخارج بما فيهم إسرائيل التى سلمته الجزء الباقي من سيناء منقوصة السيادة. ثم بدأ أنه يحرص على الإمساك بمنظومة اقتصادية توقف التدهور الذى آل إليه اقتصاد البلد بعد عزل مصر عن أشقائها العرب إثر معاهدة كامب ديفيد.

وفى خضم البحث عن مخرج للاقتصاد التائه ظهرت إلى حيز الوجود فجأة شركات توظيف الأموال التى تعمل بعيداً عن الدولة وعن النظام. على جذب رؤوس الأموال وملايين الممولين على اختلاف مشاربهم وقدراتهم الائتمانية.

وتعجب الشيخ فريد على ظهور أسماء شركات لا تخلو لافتاتها من ظهور كلمات: الإسلام.. أو الإسلامى.. أو الإسلامية.. ومع هذا، فلم يأخذه التوجس موقناً أن إشكالية الزج بالإسلام فى السياسة وما يجره ذلك من ويلات ليس شرطاً أن يجرنا إلى

نفس الولايات فيما لو تم الزج بالإسلام في الاقتصاد..

ولما راح يراقب ترهيب بعض الشيوخ من ربا البنوك ذات الفوائد المعلنة سلفاً اكتشف أن الشركات الجديدة تعمل هي الأخرى بنظام الفوائد المعلنة مؤقتاً ولكن بميزة جديدة هي أنها ضعف فوائد البنوك..

ولما ظهر نفر من شيوخ النظام ينتصرون لفكرة فوائد البنوك اكتشف الشيخ فريد أن التاريخ يعيد نفسه؛ إذ يكرر فكرة الشيخ الخادم للسلطة، ويذا ذلك جلياً في الصراع الدائر بين شيوخ الدولة وشيوخ الشركات.

ولم يتبته الشيخ فريد إلى أنه أب مسن لطفل صغير لم يتجاوز الرابعة إلا بعد أن شاهد ولدى فتیان: «أحمد وفتحی» في إعلانات شركة الفتيان لتوظيف الأموال، فتعجب أن يكون الزمن قد مر بهذه السرعة حتى إن فتیان قد صار لديه شابان يعملان معه.. ثم يزول عجبه عندما يتذكر أن معاذاً إنما قدم إلى هذه الدنيا من أب وصل متأخراً في ركاب الأبوة. ولما راح يتأمل صورتی أحمد وفتحی كأصغر نجمين أخذاً في التألق بسبب الاستثمار وتوظيف الأموال شعر من ابتسامة فتحی المتكلفة أنه وجه ناعم يفتقد البراعة، وأن التجمل الذي ينطق به حديثه حول نشاط شركته يخبئ كماً من الزيف لا يدري الشيخ فريد كم من العمر مضى - على هذا الولد - حتى تعلمه.. يومها طوى لصحيفة، ثم غمغم: «هذا الشبل من ذاك الأسد»

واستأسد الشبل فسطا على بؤر الأضواء وهو يتمتع بمباركة تعززية من أب كشف البئر غطاءه في أول عهده بسوق الانفتاح.. إذ عرف أنه ليس شرطاً أن تكون الألف فدان مزروعة فعلاً حتى ترهنها للبنك، فأنت يمكنك أن تملؤها بالأشجار على الورق وأن تأخذ أضعاف ثمنها كقرض مقابل مائة ألف جنيه تدفعها لمدير البنك عن كل مليون تقترضه. هذا الأب لم يشغل نفسه لحظة واحدة بمدى صحة ما يقوله ولده عن مشاريعهم الضخمة، وهو يطمئن المودعين على أموالهم.

كانوا يحثون الخطأ - فتیان وولده - إلى ولي نعمتهم السيد النحال ليستلهموا منه الرأي

والمشورة فقد يدلهم على عدد من المشاريع الكبرى لاستيعاب مئات الملايين من الجنيهات والدولارات التي جمعوها من السوق. ولكنهم يعودون برءوس ثقيلة؛ لأنه لا يدلهم إلا على شيء واحد:

- «لا تتوقفوا عن جمع الأموال.. ما دمتم تقدمون ربحاً سنوياً وهيئاً لعملائكم مقداره خمسة وعشرون بالمائة.. فإن العمر الافتراضي لنشاطكم سيكون على الأكثر أربع سنوات..»

ثم يأتي لهم ذات زيارة بفكرة - قال لهم إنها جهنمية - يمكنهم بها جلب أموال المصريين العاملين في الدول العربية بشكل غير مسبوق.

- «يجب أن نسعى إلى نشر صورتك يا فتیان مع رئيس الوزراء وأنت تصافحه في الصفحات الأولى من كل الصفحات القومية..»
وسأله فتیان: «كيف؟.. كيف يمكننا ذلك..»

وبهدوء شديد يرد السيد النحال: «كلها بضعة أسابيع وتنعقد مباراة في كرة القدم للمنتخب القومي في ستاد القاهرة..»

ولم يفهم فتیان ما المقصود بذلك.. وتسربل في البلاهة.. لكنه عندما ذهب برفقة صديقه البرلماني اللامع السيد النحال وجلسنا سوياً في المقصورة الرئيسية على قيد خطوات من الدكتور عاطف صدقي، جاءت لحظة مواتية غمزه السيد فيها وهو يرسل نفس الغمزة لمصور صحفي يعرفه:

- «قم الآن فصافح الدكتور عاطف.. ابتسم وأنت تصافحه، وقل له: سنفوز بالمباراة بفضل حضورك الكريم يا باشا..»

وفي اليوم التالي ظهرت ابتسامتان متبادلتان على متن الصحف الأولى أرسلها صاحبها وفي ذهنه مؤامرة، والثانية بعثها صاحبها على سبيل المجاملة.. وقد تكون هذه الصورة قد فعلت فعلها داخل مصر، أما خارجها فقد فاق فعلها كل التوقعات.

هرول فتیان ووالداه إلى السيد النحال في هلع مصطنع يوارون به غبظتهم:
- «كل موظفي فروعنا لا يرفعون رءوسهم لحظة عن الأوراق وهم يسجلون ما يلقي

في خزائنتنا من أموال.. لقد قاربنا على رقم المليار.. فأسعفنا بمشاريع كبرى حتى لا نكشف»

وظل ما يسعفهم به هو نفسه القول القديم:

- «استمروا في جمع الأموال.. ولا تستمر أطول من ذلك في النوم على مستحقائنا يافتيان.. الجماعة الجورنالجية الذين وبخهم رئيس الوزراء شريكك في الصورة.. وزمايلهم في الخليج.. هل تظن أنهم يتبرعون لك بحملة مجانية؟.. أنت تجمع المليارات وهم يصفقون لك؟.. العدد هنا وهناك عشرة.. ضع شيكات بهذا العدد.. كل شيك بثلاثمائة ألف دولار.. لأمر: حامله.. وأسرع بكتابة الشيكات حتى لا أنسى الفكرة الجهنمية الثانية..»

- «فكرة ثانية؟».

وبعد أن يسلمه الشيكات منصاعاً كائماً غيظه سرعان ما ينسى ذلك وهو يتأمل ذلك الكنز المختبئ داخل هذه الرأس الجهنمية التي لا تتوقف عن التفكير والإبداع والفساد والتآمر وجلب المصائب بسرعة ثم تصرفها بمزيد من هذه السرعة.. وهتف فتيان بولديه وهو يغادر مكتب النحال :

- «أسرعوا بتنفيذ خطة هذا الرجل المصيبة.. أسرعوا»

وكان أن انتشر في كافة العواصم العربية البترولية عشرات من مندوبي شركة الفتيان لتوظيف الأموال.. وانتشر في ربوع مصر أضعافهم من المندوبين الذين يستقلون سيارات مزودة بتليفونات حديثة.. والمهمة ببساطة تتمثل في عمل خدمة غير مسبقة السرعة للمصري المقيم في البلد العربي: أعطنا مدخراتك بالعملية الصعبة الآن وسوف تصل قيمتها بالجنيه المصري إلى أهلك في مصر بعد ساعة واحدة.. لا تدفع لنا قبل أن يتسلم أهلك تحويلاتك لهم ويطمثونك بالتليفون على وصولها..

وانتشرت مزايا هذه الخدمة بين الجاليات المصرية انتشار الوباء..

وهرول آل فتيان إلى النحال مرة أخرى:

- «المليارات تزيد.. ماذا تفعل؟»

- «ضعوا الكبار في جيوبكم.. قدموا السبت اتقاء السعير يوم الأحد.. وعليكم بلبورصة.. ضاربوا في البورصة»

- «كيف؟.. لا علم لنا بهذا الشيء..»

- «مروا على غدا»

ووجدوه في انتظارهم.. كهل باكستاني أشيب الشعر.. متين الجسد.. يتحدث العربية بطلاقة.. قدمه لهم النحال:

- «هذا هو مستشارك المالى يا فتیان.. خبير فى الأوراق المالية.. يعرف الدروب درباً درباً

طاخل بورصات لندن ونيويورك وطوكيو.. وهذا هو عقد العمل بينكما.. وقعه الآن»

وبعد شهور انتشى فتیان زهواً بثلاث عملیات ناجحة فى بورصة نيويورك.. فراح

يشير الناس بمشاريعه الكبرى التى تدر ما لم يكن يحلم به من مكاسب..

وفى قلب نشوته راح يغمره القلق وهو يرتو إلى وجه ولده فتحن الذى تحولت حمرة

إلى صفرة وبياض عينيه إلى احمرار.. إنه التعب والإرهاق.. وقلة النوم.. ويتساءل إلى أين

نحن ماضون ويأته - من داخله - جواب سؤاله: «لا يهم أن نعرف وجهتنا.. المهم أننا

نتحرك..»

وعندما خسر ملياره الأول توافق احتياجه لذلك مع احتياج مضاعف حينما وضع يده

على خسارة أخرى.. ولده فتحن.. لقد سقط المذكور فى بئر الإدمان.. وعالم النساء، منذ

زمن طويل دون أن يلحظ فتیان ذلك، ناهيك عما بعثره ولده من أموال المودعين..

وفى غمرة حزنه وهو يخسر ملياره الثانى لوح للباكستاني بقبضته فى الهواء:

- «ماذا فعلت بى؟..»

- «حساباتى لا غبار عليها.. ابحث عن اليهود الذين يتربصون بأموالكم فى الخارج..»

- «لا تبحث عن ذريعة..»

- «لن أبحث عن سبب لفشلى.. اليهود هم الذين هربوا بأموالكم فى العهد القديم ما

زالوا على عهدهم بمطاردتكم حتى اليوم»

- «أنت تأتى لى بحوادث من الكتب الصفراء لتبرر فشلك»

- «أيها الراكض الفاشل.. لو عطست الآن فسوف يخرج يهودى من منخاريك.. أنت تعرفهم جيدًا لأنك عملت معهم أنت والنحال»

- «ابنى سيموت.. وسوف ألحق به»

- «وهذا هو هدفهم.. أن يمسكوا بلحمكم ويمزقوه أشلاء، فالفراغنة الذين ألقوا بهم إلى الشتات فى الماضى آن لهم أن يتوهوا فى شتات العصر»

فتيان وولده اخذتهم لوتة الجنون فراحوا يتخبطون.. ومع هذا فقد واصلوا نشر إعلاناتهم الكاذبة التى تدر عليهم الميز من مدخرات المصريين فى الداخل والخارج، ولم يسلم الأمر فى كثير من الأحيان من انتزاع مريضهم فتحى من سرير مشفاه الذين يعالج به من الإدمان ليحضر مؤتمراً صحفياً لطمأنة مخدوعيهم أنهم جميعاً بخير..

واقرب من فتیان شيخ كبير تورط بإيداع أمواله عندهم، وقال له:

- «قلبي يحدثنى بأنكم مخادعون، فأعطني أموالى..»

قال له فتیان:

- «خروجك المعلن بأموالك سيكون ضربة قاصمة لى ولشركتى.. فقف معى.. وسأجلب لك ربخاً خاصاً.. فأنقذ نفسك وأنقذنى معك»

وامتشق الشيخ الشهير حسام الإسلام يدافع به عن آل فتیان فى شهادة زائفة يعلنها على رؤوس الأشهاد فيؤكد لجمهور المودعين الزحفين إلى الصحراء لمعاينة مشاريع الشركة فى أتوبيسات مكيفة أنهم فى أمان.. ويزدرد هذا الشيخ ريقه مع بعض الماء المثلج ويهتف:

- «ألا يعلم أصحاب البنوك أنهم يحرون وبائتهم إلى إثم الربا.. وألا يعلمون أن عقوبة هذا الإثم ترقى إلى عقوبة من زنى بأمه فى حجر الكعبة؟»

وهنا برز لهم الشيخ فريد هنىدى من مكمنه فشن حملة شعواء لم يعدم فيها الحيلة فى كشف التاريخ المزرى لرجل الاقتصاد الإسلامى فتیان فتیان ثم أدار مدافعه الثقيلة نحو ولدى النحال فأهلب بها ماضيهم المزرى وحاضرهم الزائف حتى لقد:

- «صار سوق النحال رائجًا.. وصاروا كالجراد الشره يهبط على المراعى الخضراء فيحرقها.. النحالون يا سادة أعلوا من شأن الكذب بعد أن قتلوا فضيلة الصدق.. النحالون يا سادة انتصروا لسياسة الفهلوة والانحناء والمقايضة بديلاً عن الصدق والشموخ والالتزام.. النحالون يا سادة أعلوا من شأن الاستيراد بديلاً عن الإنتاج.. ومن شأن العمولة بديلاً عن الأجر.. والاستسهال والتواكل بديلاً عن المكابدة والإصرار..»

وفي مكتب السيد النحال اجتمع ثلاثتهم هو وأخوه وفتيان وفي شعور مشترك أحسوا جميعاً أنهم كلهم في خطر.. واقتربت رءوسهم للمرة الثانية يتهامسون للعشور على حل يسكتون به هذا الصوت الزاعق لبطل كمال الأجسام القديم. ولم يمض كثير من الوقت إلا وكانوا قد اتخذوا بشأنه قرارًا..

ولما راق للشيخ فريد أن يصحب زوجته وولديه في زيارة إلى البلد.. وفي المسافة التي يترجلونها من محطة القطار إلى هناك في تمهل ومتعة انحرفت نحوه سيارة طائرة طائشة وقذفت في الهواء..

شاهدته/نادية مضرجاً في دمائه أمام ولديها.. وشاهدتها يصيحان في هلع.. وهرع المارة يقبلون عليها.. رأت أحدهم يمسك في يده بصحيفة فأرسلت إليه رجاء دامعاً أن يغطي بها وجه زوجها الدامي المسكون بالصمت..

ولما فرش الرجل صحيفة اليوم على وجهه وصدر القليل لم تعلم نادية عز الدين أن الوجه المبتسم في صورة الصفحة الأولى بالصحيفة هو وجه أمير النحال الذي أمسك بحقيبة وزارة التموين.. اليوم..